

الحداثة في الفكر السياسي Modernity In Political Thought

خليفة رابح*، قسم العلوم السياسية، جامعة عمار ثلجي - الأغواط-

r.khelifi@lagh-niv.dz

تاريخ إرسال المقال: 2022/03/25 تاريخ قبول المقال: 2022/04/30 تاريخ نشر المقال: 2022/05/12

الملخص:

انتشر في الآونة الأخيرة مصطلح الحداثة **Modernité** بشكل ملفت في البحوث السياسية، والمشتق من الكلمة اليونانية **Modus** ، والمقال الذي أمامنا يعد إحدى المحاولات الأكاديمية لتفسير ظاهرة تنامي الخطاب الحداثي في الفكر السياسي، وذلك بتحديد المفاهيم المتعلقة بها خاصة إذا تم الاعتماد على إحدى المعايير الأساسية القائمة على القطيعة عن كل ما هو ماضي كون هذا المعيار - الزمن - يطرح تساؤلات أخرى حول ما إذا كانت هناك حادثة واحدة أم حداثات متعددة؟..

هذا الإشكال دفع بالكثير من المفكرين والدارسين إلى الانتقال في تحليلاتهم إلى الإعتماد على معايير أخرى موضوعية وجوهرية لتبسيط الظاهرة الحداثية وتقديم تفسيراً ذو قيمة علمية من خلال عرض كم من المفاهيم والشروحات المعرفية المقدمة.

الكلمات المفتاحية: الحداثة، الفكر السياسي، القطيعة السياسية، الفلسفة السياسية، القيم الإنسانية.

Abstract:

The term modernity has recently spread dramatically and derives from the Greek word Modus, and the article before us is one of the academic attempts to interpret the phenomenon of growing modernist discourse in political thought, and to define the concepts relating to it, especially if it adopts one of the basic criteria based on separation and disconnection from all that is the past. - Raises other questions about whether there is one novelty or multiple updates?..

This problem prompted many thinkers and scholars to move their analyses to rely on other objective and substantive criteria to simplify the resolution of the phenomenon and provide an interpretation of scientific value through all this quantum of knowledge provided.

Keywords: modernity, political thought, political estrangement, political philosophy, human values.

مقدمة:

جاءت مقدمة هذا البحث لتعرض لأهم المحطات التاريخية التي توقف عندها أبرز المفكرين السياسيين تمهيدا لتقديم دراسة مفصلة للحداثة التي شهدتها الفكر السياسي الحديث.

فالغاية من دراسة مجموع الأفكار السياسية **Les Idées Politiques** في قالبها النظري هي محاولة لتقديم صورة متكاملة للتطور الحاصل داخل التيارات والاتجاهات وكذا المذاهب الفكرية ومدى تأثير ذلك على الحياة البشرية، ففي البداية نشير إلى:

- ابتداءً من الفكر الفلسفي اليوناني على أيدي المفكرين السفسطائيين **Sophists** الذي استند مذهبهم على ترجيح مصلحة الفرد كمواطن على مصلحة الدولة أو المجتمع،.. وأن الإنسان حسب تصوراتهم هو مقياس كل شيء¹ وبهذا التصور يصبح الفرد وما يتماشى ومصلحته هي محور القيم السياسية الأساسية التي تقوم عليها سياسة الدولة والمجتمعات.

- أما الفيلسوف **Socrate** سقراط الذي وصلت أفكاره عن طريق كل من أفلاطون **Platon** مؤسس المثالية الموضوعية وأرسطو **Aristote** الفيلسوف والمفكر السياسي ومؤسس علم المنطق والذي ناهض الفكر السفسطائي بتكريس ركائز فلسفية جديدة على خلافهم.

وبنهاية الحضارة اليونانية طفت مدارس مثل المدرسة الأبيقورية نسبة للفيلسوف الملحد أبيقور **Epicure** الذي ركز على مصلحة الفرد التي تبقى قائمة وفكرة تحريره من الألم الذي يعيشه إشباعاً لنزواته ورغباته، أما وظيفة الأخلاق في حياتهم إنما للقضاء على ذلك الخوف من عدم الإشباع.

في نفس هذا السياق نشير إلى المدرسة الكلبية التي نادى بالعودة إلى الحياة الفطرية الأولى والتي نادى بالتخلي عن المال كي لا يبقى الفرد عبداً في حياته للمادة² وأسيراً لها أين تسمو فيها القيم التي تسبغ نزوات الفرد ورغباته المعنوية أو بعبارة أخرى الروحية.

أما عن أصحاب المدرسة الرواقية الذين يؤمنون بالنزعة الفردية بمعنى أن الحياة الفاضلة عندهم قائمة على الممارسة وقهر النفس عن طريق الإنطواء على الذات.

- كما نشير إلى إسهامات الحضار الرومانية في هذا المجال على يد كل من: بوليبيوس **Polybius**، شيشرون **Cecron**، سينيكا **Seneca**، ..

* فالأول (بوليبيوس **Polybius**) اهتم بدراسة الأنظمة السائدة في الامبراطورية الرومانية وطرق تطويرها³ استناداً على طبيعة الدساتير التي مرّ بها الحكم الروماني آنذاك، بالإضافة إلى أن جل الدارسين ركزوا على طبيعة الأنظمة التي عرفت تلك الحضارة انطلاقاً من النظام الملكي ثم الجمهوري وصولاً إلى العهد الإمبراطوري.

* أما الثاني فهو (شيشرون **Cecron**) المفكر السياسي والأديب الروماني، كما أنه مارس مهنة المحاماة، فمن خلال كتاباته خاصة الجمهورية وكتاب القوانين، رسخ فكرة تتجسد من خلالها حقوق المواطنين كضمان لبقاء الدولة واستمرارها عن طريق القانون الحقيقي الذي هو في حقيقة الأمر العقل المستقيم، وأشار إلى أن سلطة الدولة تنبثق من قوة الأفراد أجمعين، كما يجب أن تستخدم القوة السياسية استخداماً صحيحاً وعقلانياً⁴، وينطبق هذا مع الفكرة الهيجلية (**Hegle**) بين الواقع والعقل، وكذلك الدعوة لعولمة السياسة والحضارة والعلم.

* أما سينكا **Seneca** الذي تعد أكبر أعماله كتاب **المبادئ الأخلاقية** التي أثرت على أخلاق الفكر المسيحي فيما بعد، فقد اعتبر العقل والكون شيء واحد وذلك بالتخلي والابتعاد عن الوظائف السياسية التي تخلق المكر والنفاق، والعودة للفترة الطبيعية والأخلاقية التي ينبغي أن يكون عليها الإنسان⁵. فالحكم لا يعني السيطرة وممارسة الهيمنة كون القائد يعرف القيادة، بالمقابل لابد للرعية أن تجيد الطاعة فهم يتمتعون بالطبيعة البشرية بشكل مشترك.

- وعند الحديث عن **المسيحية**، يعتبر كل من الفيلسوف اللاهوتي **سان أوغستان Saint Augustan**، وكذا **توماس الأوكويني Thomas Aquinas** الفيلسوف الكاثوليكي الإيطالي، والذي يعد كلاهما مرجعاً لهذا الفكر، أين تأسست أطروحاتها على الفكر الديني القائم على العدل والمساواة دون التفرقة بين أفرادها. لذا يمكن الإشارة في نفس المنوال إلى أثر قدوم المسيحية على التوجهات السياسية للإمبراطورية، أين دعمت الدولة نتكلم هنا عن: (سلطة دنيوية تحت رئاسي الإمبراطور، وسلطة دينية يرأسها البابا)

ومواصلة للفكر المسيحي نشير إلى أن النظرية السياسية لـ: **سان أوغستان Saint Augustan** قامت على تحقيق العدالة الاجتماعية التي لا تقوم إلا على باتباع الدولة للديانة المسيحية كونها محررة للبشرية، كما دعا إلى خضوع الأوامر الصادرة من النظام الحاكم للكنيسة، في المقابل على قيام الأفراد بالدفاع عن تلك السلطة الحاكمة، أما **توماس الأوكويني Thomas Aquinas** أشار إلى فكرة جوهرية وهي ارتباط فكرة الإيمان بالعقل كونه يحقق السعادة البشرية، كما حاول إبراز وجوب العمل على وحدة الدولة وخضوعها لحكومة الفرد والحكم الأرستقراطي كونه أكثر حكمة من الديمقراطية الفوضوية⁶

تعريف الحداثة: La Définition de modernité

نشير في البداية إلى المعنى اللغوي للحداثة الذي جاء مصدرها من **حدث**، وتعني نقيض القديم، وتعني " الحداثة " كذلك أول الأمر وابتدائه، وتعني كذلك الشباب أو العصر وانتشر للحداثة في اللغتين الإنجليزية والفرنسية (**Modernism**) و (**Modernity**)، واختلفت الترجمة لهذين المصطلحين بين الحداثة والعصرية والمعاصرة، أما في المعاجم فيكاد أن يكون الفرق ضيقاً في الترجمة، فنجد ترجمة كلمة (**Modernism**) بأنها حركة الفكر الكاثوليكي لتأويل تعاليم الكنيسة وذلك في ضوء الفاهيم السائدة في القرن التاسع عشر..، أو بأنها نزعة لاهوتية تحررية "البروتستنتية" وأيضاً بأنها نزعة في الفن الحديث تهدف إلى قطع الصلة بالماضي⁷

وعند عرض المزيد من المفاهيم والتعريفات، نلاحظ الاشكالية التي تضمنها المصطلح في حد ذاته، فالإ جانب ذلك ارتبط مفهوم الحداثة بالثورتين الأمريكية والفرنسية وهناك ما ارتبطه بالثورة الصناعية الكبرى. فالحداثة ليست مفهوماً اجتماعياً ، ولا مفهوماً سياسياً ، ولا تتحدث بشكل صحيح عن مفهوم تاريخي. حيث إنها نمط حضاري مميز يتعارض مع نمط التقليد، بمعنى يتعارض مع كل الثقافات السابقة أو التقليدية الأخرى في مواجهة التنوع الجغرافي والرمزي لهذه الثقافات، فالحداثة تفرض نفسها على أنها وحدة متجانسة

مشعة عالمياً من الغرب. ورغم ذلك فإنها لا تزال فكرة مشوشة لحد الآن، والتي تشير إلى تطور تاريخي كامل وتغيير في العقلية⁸. أين تم الارتكاز في تحليلاتهم على الأب والأسرة، العالم الذي يسيره الله.

أما عن وظائف الدولة فتتمثل في هذا السياق فتركز على:

- تحقيق الأمن والطمأنينة في الحياة وحماية الأفراد
- تحقيق العدالة الاجتماعية بواسطة التشريعات القانونية.
- تحقيق الأخلاق للمجتمع البشري حسب الكنيسة.
- حماية الدولة للدين على سياسة الكنيسة.

وإذا تطرقنا في التحليل إلى الفكر السياسي الإسلامي يستدعي بالضرورة ضبط العلاقة بين مفهومي الشرع والفقه وبين مفهوم الفكر عامة والفكر السياسي خاصة لما لذلك من أثر على تحديد حقل الفكر السياسي الإسلامي ضيقاً واتساعاً، حيث أن الفكر السياسي الإسلامي يصعب فهمه وأنه كحقل معرفي دون فهم جيد للمصطلحات المعرفية ذات الطبيعة السياسية المركبة.

فهو ذلك النشاط العقلي الذي يضم الآراء والمبادئ والأفكار لمجموعة بشرية معينة هم المسلمين منذ أن نشأ لهم مجتمع سياسي وتكونت للإسلام دولة منذ عهد النبي (صل الله عليه وسلم) حتى عصرنا الحالي بما يعني أن هذا الفكر له مراحل وله تاريخاً الذي يشمل هذه المراحل ويضم الكتابات حول الأفكار والمبادئ والنظريات التي تخص حياة وأهداف المسلمين السياسية والقواعد التي تحكم وتنظم وما يطلق عليه سياسي ويخص المسلمين كأمة ومجتمع سياسي⁹.

مفهوم الحداثة:

ثمة تغير وتبدلاً فكري وثقافي يطرأ في كل حقبة من الحقب الزمنية على حياة الإنسان والمجتمعات الإنسانية، يتولد فيها تنامي بعض الأفكار والموروثات الثقافية التقليدية كضرورة لتطور المجتمعات، وبالتالي فقد شمل ذلك تحولات جوهرية في المذاهب الفلسفية والنظريات الاجتماعية التي استطاعت أن تعمل على دعم ذلك التغيير على أنماط السلوك الاجتماعي والاقتصادي، وأنتجت طبقات جديدة حلت محل الطبقات القديمة، فحلت الطبقة البورجوازية محل الإقطاع والنبل، وحل العمال محل الزراع¹⁰.

وعلى مستوى الفكر حلت الاستنارة بالعقل محل الاستنارة بالدين والفلسفة المادية الداروينية **La Philosophie Matérialiste** محل الميتافيزيقا **Métaphysique**، وبالطبع فالأفكار الجديدة هذه أصبحت أكثر ملائمة لروح العصر، ومتطلباته تعدّ أفكاراً حديثة، في مقابل الأفكار التقليدية غير القادرة على مواكبة روح العصر وجملة التغيرات الجديدة في حياة الفرد والمجتمع، لذا جاءت فكرة الحداثة مكان الإيمان بالله، المعرفة الحدسية والتفكير التقليدي فهي تؤمن بقدرة الكائن البشري على التفكير والنقد لتحقيق التحرر.

إنّ فالحداثة مصطلح يشير إلى الانتصار المؤكد للعقل الإنساني، والإعلاء من شأن الذات الإنسانية وقدراتها العقلية، فهو مفهوم ينطوي على إقرار لسلطة العقل وانتصاره في حياة الإنسان، وعليه يمكن القول لدى الكثير أنها تعني بمجمل التفاعلات التراكمية التي أنتجت طفرة حقيقية في التطور الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، تطورت بموجبها قوى العلم والتقنية والانتاج تطوراً واسعاً بحيث أحدثت قطيعة بين الإنسان وماضيه، وجعلت منه سيد الطبيعة ومالكها عن طريق ضبط علمي، أي عقلاني لأفعاله. في هذا المجال نشير إلى رينيه ديكارت **René Descartes** بعد أن وضع مبدأ الذاتية الأبدي والقائم على: " أنا أفكر إذا أنا موجود " كحقيقة فرضها الواقع المعاش للأفراد، فيكون بهذا قد وضع خط فاصل بين عالم الآلهة القديم وعالم الإنسان الحديث، الذي جعله منه مركز الكون.

كما استخدم فريدريك هيغل **Georg Wilhelm Friedrich Hegel** مفهوم الحداثة في سياقات تاريخية للدلالة على حقبة زمنية معينة بدأت مع عصر التنوير، بفعل أولئك الذين أظهروا وعياً وبصيرة، باعتبار أن هذا العصر حد فاصل و مرحلة نهائية من التاريخ.

كما تجدر الإشارة إلى المحاولات القائمة على ربط مفهوم الحداثة بعصر التنوير الذي استند إلى كون ذلك العصر يبين أن التنوير هو خروج الإنسان عن قصوره الذي اقترفه بحق نفسه وعجزه عن استخدام عقله الذي لا يتأتى إلا بتوجيه من إنسان آخر؛ ويستدل في المنحى ذاته أن الثورة الفرنسية أضافت عنصر التحرير للإنسان فكان الانتقال من الألوهية إلى الإنسانية بمعنى (من الإله إلى الإنسان)، من الإيمان إلى العقل المفكر الذي قاده إلى فلسفة الوعي المركز على الموضوع والتي ميّزت هذا العصر، أين حققت الإنسانية التحرر من خلال النضج باستعمال والإعتماد على النقد، هذا النضج لا يكون إلا بتحمل الفرد المسؤولية عن قراراته وأفعاله وكل ما ارتبط بمصير معيشته ضمن هذا العالم، بالاستناد على التفكير النقدي بدل إرجاع المسؤولية لعامل خارجي غيبي.

محاولات ضبط التعاريف المتعددة الحداثة في الفكر السياسي:

مما سبق عرضه نجدنا عند التأصيل لمصطلح الحداثة من الصعب إيجاد تعريف ثابت للحداثة فيقصد بها الراهن، ويعد الراهن زمن نسبي متغير، ولهذا يصعب تحديده بدقة زمنياً ومفاهيمياً، بالإضافة إلى أنه عند تقديم محاولة لدراسة الفكر السياسي في التاريخ الحديث الذي لم يكن همه البحث عن أعدل الأنظمة وأكثرها مطابقة للفضيلة، بل عن شروط ممارسة الحكم وإمكانية وشروط ممارسة السياسة بالذات.

أما عند الحديث من وجه نظر أخرى عن الحداثة والفلسفة السياسية، حسب لليوشتراوس **Leo Strauss** ، أن: " التعديل الأساسي على الفلسفة السياسية المرتبطة بحقبة " ما قبل الحداثة " التي عاصرها سقراط **Socrates** ، وأفلاطون **Plato** ، وأرسطو **Aristotle** ، والذي قدمه

فلاسفة العصر الحديث، هو الذي يشير إلى العلاقة بين الحداثة والفلسفة السياسية¹¹

Modernity: بمعنى الطرفية فهي مقترنة بالزمان، ونقصد به كل ما هو معارض للطرح الكلاسيكي " التقليدي"، معناها عند البعض تشكل مرحلة من المراجعة والتصحيح لمسارات الفكر الغربي على وجه الخصوص.

* أولاً: محاولات تحديد مفهوم الحداثة في الفكر السياسي من الناحية الزمنية¹².

هناك من تحدث عن حداثة الديمقراطية في أثينا في التاريخ القديم؛ وهناك من قال بحداثة السوفسطائيين ومائلها بفكر عصر التنوير الذي برز فيما بعد، وهناك من تحدث عن الحداثة بصفتها مرحلة فكرية متميزة ظهرت مع بروز الذاتية في القرن السادس عشر "ق 16" وامتدت إلى أواخر القرن التاسع عشر "ق 19"، والذي يشكل هذا المبدأ القاعدة الأساسية للحداثة في المجال الفلسفي الذي يعني: أولوية الذات وانتصارها وأخذ يدرك نفسه كذات مستقلة ومتميزة عن الطبيعة، وهو ما دفع الإنسان إلى السيطرة على الطبيعة وإخضاعها لمشيتها، كما أصبح الإنسان يستمد يقينه من ذاته، وليس من عقيدة أو سلطة غير سلطة ذاته، وليس كما كان عليه الأمر في القرون الوسطى.

حيث يتصور فريدريك هيجل Friedrich Hegel في هذا الصدد أن: الحداثة شكلت ارتداداً إلى الذات وكونت بنية علاقة مع الذات سماها "الذاتية" أو "الآنية" أي حرية الذات، التي هي بشكل عام مبدأ العالم (الزمنة الحديثة) وشرحها بـ: "الحرية" حيث قال: أن مكن أهمية وعظمة عصرنا هو الاعتراف بالحرية.

ثم اختفت تلك العقيدة في الفترات التازمة تلك التي عرفت فيها أوروبا تنامي حركات متشعبة تنادي بفكرة القومية العرقية، التي أفضت في آخر المطاف في أحد تصوراتها إلى النازية Nazisme، وطففت الحداثة فيما بعد على سطح الفكر، أين تجلت على مستوى الواقع بعد الحرب العالمية الثانية (1945/1939).

ونشير في هذا الصدد إلى أن العديد من الدارسين يربط نشأة الحداثة بهذا المبدأ، إذ أنه مفهوم متعدد الدلالات نتيجة للنزعة الإنسانية، والقائم على مركزية ومرجعية الذات الإنسانية وفعاليتها وحريتها وشفافيتها وعقلانيتها، كان هذا المفهوم يحيل لدى فريدريك هيجل على دلالات أربع أخرى ملازمة:

1. الفردانية: وتعني أن لها الحق في إعطاء قيمة لادعاءاتها.
2. الحق في النقد: بمعنى أن مبدأ العالم الحديث يتطلب على كل فرد أن يتقبل فقط ما يبدو مبرراً ومقنعاً حسبته.
3. استقلالية الفعل: فمن خصائص العصور الحديثة تهيؤها لتقبل ما يفعله الأفراد والاستجابة له.
4. الفلسفة التأملية ذاتها: فمن خصائص العصور الحديثة كذلك عند فريدريك هيجل أن الفلسفة تدرك الفكرة التي تجتاز وعياً ذاتها.

كل هذه التصورات والمفاهيم التي سبق عرضها دفعت بالكثير من الدارسين إلى الإعتماد على معيار آخر لتقديم مفاهيم أكثر وضوحاً للحداثة خاصة في الفكر السياسي.

* ثانياً: محاولات تحديد مفهوم الحداثة في الفكر السياسي من الناحية الموضوعية¹³.

نبدء في هذا الجانب من البحث بتساؤل سبق الكثير طرحه، فهل يقصد بالحداثة معاني مرادفة للتكنولوجيا والتصنيع، المعرفة العلمية، المؤسسات، الديمقراطية، الحقوق السياسية والمدنية؟
فالحداثة كمفهوم في إطاره العام تتمحور حول مفاهيم فرعية متعددة: الذات، العقل، الحقوق، الديمقراطية، وفق ما تم تناوله عند الكثير من الفلاسفة والمفكرين. فنشير من خلال هذا إلى:
أ/ يمكن في البداية - وحسب المرحلة التي وصلنا إليها في هذه الدراسة - القيام بتعريف أولي للحداثة: إنها تعني الإيمان بقدرة الإنسان بفضل عقله أن يوجه مسار التاريخ وتغيير بناء المجتمع بغية تحقيق الديمقراطية وصيانة الحقوق والحريات، بالإعتبار أن وعي الإنسان بذاته وبقدرته على تغيير المجتمع شكّل منعطفاً كبيراً في التاريخ البشري.

ب/ الحداثة: بنية تناقضية

فهذا التعريف الأولي للحداثة سيصطدم بتغييرات وتحولات في غاية الخطورة، ستقضي إلى إعطاء الحداثة معاني ودلالات أخرى، عند الإجابة على التساؤل التالي:
- هل توجد حادثة واحدة أم هناك حوادث مختلفة ومتباينة أحياناً؟
وللإجابة على هذا التساؤل نشير إلى:

1. على مستوى المفاهيم: فإذا قمنا بعملية مقارنة لكل من العقل، الذات، الفرد، الحرية وغيرها من المفاهيم كأسس يقوم عليها مفهوم الحداثة، نجد أن لها معاني ودلالات مختلفة عند الأدباء والفلاسفة في حد ذاتهم.

2. على مستوى الواقع: يمكن بالفعل القيام بإعطاء حقب زمنية مختلفة لتلك الحداثات: حادثة تأسيسية (في القرن 16 و 17)، حادثة عصر التنوير، حادثة القرن 19، حادثة ما بعدية في مطلع القرن 20،.. إلخ.

3. حادثة التسامح والاختلاف: هما مفهومان ظهرا في عصر التنوير وهما أساسيان يقابلهما التوسع والإستعمار وإقبار الثقافات المغايرة، على الرغم من أن الفكر الإسلامي له تصورات مغايرة تماماً والذي يعتبر سباق لهذا الطرح.

4. حادثة المشاركة السياسية التي يقابها الإقصاء والتمييز بين المواطن السلمي، وبين المواطن المالك والمواطن غير المالك.

5. حادثة التعاقد السياسي يقابها التباعد والتفارق بين مركزية الدولة وطرفية المجتمع، فالل تعاقد هو فعل مؤسس للدولة الحديثة وفعل مؤسس كذلك للمجتمع المدني، مما قد يحدث تناقضاً أساسياً

بين مساعي الدولة وطموحات المجتمع، وهما يحظيان بنفس الشرعية السياسية، وكيف لا يحسم هذا التناقض على حساب المجتمع، والدولة تحنكر حق اللجوء إلى العنف الشرعي؟

6. حداثة التقدم الاقتصادي، يقابلها الإغتراب والاستغلال وسياسة التقدير.

وبالتالي: فالحداثة في معانيها الإيجابية وذات البعد المثالي تحيل على الفكر والقيم، وفي معانيها السلبية تحيل على الواقع المعاش، من خلال كل هذا قد يحدث فيه انفصام المجتمع بين فكر مستتير، عقلاني، ديمقراطي وواقع استيلاي، إقصائي، مأساوي، ولعل مفهوم الحداثة يحمل في ذاته بنية تناقضية وحركية ذات اتجاهات متعارضة.

وعلى جانب آخر من الدراسة المقدمة لإيجاد المعايير المعتمدة لتعريف محدد لحداثة الفكر السياسي نشير إلى أبعد من ذلك وبعيدا عما يشار إليه في الكثير من البحوث من الواضح أن النظريات السياسية الحديثة الرئيسية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالقضايا البيئية. ومع ذلك، لم يؤخذ هذا البعد في الاعتبار إلا قليلاً في تاريخهم. أمثال الفيلسوف والباحث بيير شاربوني (Pierre Charbonnier) (CNRS) في مركز الدراسات الأوروبية والسياسة المقارنة. في كتابه القيم: الوفرة والحرية (التاريخ البيئي للأفكار السياسية) أين جاء الكتاب في شكل تحقيق فلسفي وتاريخي بارع، يقدم هذا الكتاب قصة غير منشورة: التاريخ البيئي للأفكار السياسية الحديثة. لذلك لا يهدف إلى البحث عن بذور الفكر الإيكولوجي في هذه (كما سبق إليه من قبله)، ولكن لإبلاغهم الآخرون جميعاً، سواء أكانوا يدعون المثالية البيئية أم لا، بمفهوم معين للعلاقة مع الأرض والبيئة. في النهاية تعد محاولة للفيلسوف بيير شاربوني Pierre Charbonnier يوضح فيها كيف كانت الأفكار السياسية الحديثة - ولا تزال - مشبعة بمفاهيم العلاقة بالأرض والبيئة وكيف يتم بناؤها حول ميثاق بين الديمقراطية والنمو، وهو ارتباط أصبحت الآن موضع تساؤل بسبب أزمة المناخ.¹⁴

الحداثة والسياسة:

عقب الكارثة الكونية التي خلفتها الحرب العالمية الثانية بدأ يتضح بجلاء فشل مشروع الحداثة، لكن جاء الوقت لمساءلة مبادئ هذه الحركة (الحداثة) في التقدم، الحرية و المساواة بعد 200 سنة من التقدم عما حققته من التطور السياسي والتاريخي في أوروبا خاصة والتي كانت لها أهمية بالغة لكل دول العالم في مطلع القرن 21 والحراك السريع نحو العولمة، لا يمكن غنكار التقدم الذي أحرز في مجال العلم والتكنولوجيا، الطب والتعليم إلخ.

ولكن هل جعل هذا التقدم والتطور العالم مكان أفضل للعيش؟ الإجابة بالتأكيد لا للكثيرين، وهناك من وصل في بداية الدراسة والتحليل إلى أن توجيه تلك الحركة غير سليم منذ بدايته ولهذا العلة لم تكتمل في مبادئ الحركة (الحداثة) وإنما في خطوط مساراتها من قبل موجهيها.

كما نشير إلى ما جاء به الفكر الاشتراكي الماركسي كأهم محاولة لبناء مجتمع أفضل وذلك ليس بتطبيق ديمقراطية سياسية فحسب بل واقتصادية تهدف لتحقيق المساواة، فقد أعطى الفكر الماركسي نظرة

للحرية العالمي التي تنبثق عن حرية الأفكار، ولكن في سنة 1932 أي في عهد جوزيف ستالين Joseph Staline كانت هذه الحرية مجبرة على أن تأخذ شكل محافظ أكثر من ذي قبل عرفت بالواقعية الاشتراكية التي وضعت حداً لحرية الأفكار عن طريق الرقابة الحزبية على الأعمال الأدبية¹⁵.

في السياق نفسه حتى أودلف هتلر Adolf Hitler هو الآخر حاول إيجاد مجتمع جديد أفضل، لكن طريقه لتحقيق ذلك أربعت العالم، على عكس فكر الحداثة الذي يسعى على تطوير الكائن البشري أي من كان، استخدمت النازية النظرية التطورية لداروين وذلك بهدف إنشاء جنس صافٍ Pure، في حين استهدفت الأجناس التي رأتها ناقصة أو متخلفة ذهنياً، فيزيولوجياً أو اجتماعياً بتصنيفاتها جسدياً.

الخاتمة:

من خلال كل ماسبق عرضه نلخص أن اختلاف التعاريف والمفاهيم للحداثة خاصة في الفكر السياسي جاء نتيجة لفكرة سامية قائمة على الواقع المعيشي للفرد الذي تعكس أساليب التطور الذي عرفت المجتمعات بصفة عامة خاصة في نمط إدارة تلك المجتمعات تلبية لرغباتهم ومحاولة لتحقيق الأفضل، كما جاء الاختلاف كذلك على حسب المعيار المعتمد والفترة التي تم تجاوز فيها كل مامن شأنه أن يقوض حريته خاصة تلك الأفكار التقليدية أو الكلاسيكية، و محاولة الانتقال إلى مرحلة جديدة تناقض كل حاضر مع إعمال العقل وحضوره واستغلاله أيما استغلال، كل هذا من أجل القيام على ما يصلح الفرد أو المواطن ومواكبة تقدم تلك الرغبات والتطلعات.

الهوامش:

¹ - عبد المجيد عمراني، محاضرات في تاريخ الفكر الفلسفي، الجزائر، منشورات الحبر، 2008، ص 18.

² - نفس المرجع، ص 41.

³ - عبد المجيد عمراني، نفس المرجع، ص 46.

⁴ - نفس المرجع، ص 47.

⁵ - نفس المرجع، ص 50.

⁶ - مرجع سابق، ص 57.

⁷ - د. كريمة سليمان الجداية، الحداثة (تعريفها - نشأتها - موقف الإسلام منها)، القاهرة، مجلة كلية الآداب " الإنسانية والعلوم الاجتماعية" مجلد 75، العدد 04، أكتوبر 2015، ص 06.

⁸ - <https://www.universalis.fr/encyclopedia>

⁹ - للمزيد أكثر حول: الفكر السياسي الإسلامي، أنظر موسوعة ويكيبيديا Wikipedia، الموقع الإلكتروني: <https://ar.wikipedia.org>

¹⁰ - حسن محمد شافعي، الحداثة السياسية... إشكالية المفهوم، جريدة الحياة يوم 2009/09/04. الموقع الإلكتروني:

<https://www.sauress.com/alhayat/53282>

¹¹ - انظر إلى دراسة بعنوان: الحداثة - Modernity، الموسوعة السياسية، الموقع الإلكتروني:

<https://political-encyclopedia.org/dictionary/>

¹² - العلمي الإدريسي رشيد، الحداثة: الأخلاق والسياسة، مجلة (إلكترونية) فكر ونقد، العدد 25، يناير 2000، الموقع الإلكتروني:

[https://www.aljabriabed.net/n25_03alami.\(2\).htm](https://www.aljabriabed.net/n25_03alami.(2).htm)

¹³ - .العلمي الإدريسي رشيد، مرجع سابق.

¹⁴ - L'environnement et la modernité des idées politiques

<https://www.sciencespo.fr/research/cogito/home/lenvironnement-et-la-modernite-des-idees-politiques-une-histoire-inedite/> date :12 février 2022

¹⁵ - Chris William, Ideologies of Conservatism: Conservative Political Ideas in the Twentieth Century (review) [Johns Hopkins University Press](#), [Volume 10, Number 4, November 2003](#)
.p 775/777

[Http:// muse.jhu.edu](http://muse.jhu.edu)